الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

أ. أناهيد السميري

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)
/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، ونسأله من عظيم فضله وهو المتفضِّل على عباده أن يجعل الإيمان -الذي هو طريق الإنسان إلى رضا الرحمن- في قلوبنا إلى زيادة، وهو سبحانه وتعالى الذي يحبِّب إلى خلقه الإيمان ويزيِّنه في قلوبهم، ويكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فنسأله سبحانه وتعالى -وهو الذي بيده ملكوت كل شيء والقلوب بين يديه- أن يجعل الإيمان مستقرًّا في قلوبنا، ويجعل الفرص القادمة لزيادة الإيمان فرصًا نافعة يزيد بها إيماننا.

أما موضوعنا فهو من المواضيع المحسوسة المعلومة، وهو

قدوم الليالي العشر التي هي أعظم أيام الدنيا !

وهذه الليال العشر التي سنقدم عليها تحتاج منا قبل أن نفكّر في الأعمال التي علينا أن نقوم بها في هذه الليالي، نحتاج لأن نفكر في شيء أهم من ذلك، وهو: **ماذا يجب عليك أن تعتقد في هذه الليالي؟**

فكما تعلمون مواسم الطاعة تمرّ على الإنسان ويمكن أن يعمل أعمالاً ويبني بناءً ثم تنتهي مواسم الطاعة فتنتهي الأعمال وينقلب الإنسان بعد أن كان طائعًا مؤمنًا إلى عاصٍ! وأقرب مثال لنا موقفنا في رمضان والعشر الأخيرة منه، الإيمان والطاعة فيها والعبادات والمساجد امتلأت بالناس وقيام الليل والصبر من أجل بلوغ ليلة القدر، ثم ما أن يأتي آخر يوم من رمضان ويبدأ العيد إلا والناس انقلبت نفوسهم وأصبحوا آخرين! هل من المعقول أن الأعمال التي قام بها الإنسان ذهبت فجأة؟!

من المؤكد أن هناك خللاً، ولذلك يتحوّل الأمر إلى هذه الصورة، وهذا الذي نريد أن نتباحث فيه قبل أن تدخل علينا العشر وتنتهي ولا نحصّل منها شيئًا.

قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[١]

والواو هذه تدلّ على القسم، أي أنّ هذه الليالي عند الله عظيمة؛ بدليل أنه سبحانه وتعالى أقسم بها، فإذا أقسم الله عزّ وجلّ بشيء فهذا الشيء عظيم.

[١] [الفجر:٢]

والقلب الحيّ هو الذي يشعر بالعظيم الذي عظّمه الله، والقلب الميت أو المريض يقال له: هذا مكان عظيم عظّمه الله، هذا زمن عظيم عظّمه الله، لكن لا تجد أثرًا لهذا الخبر على قلبه.

مثلاً: تجد الناس في بيت الله في الحرم لا يتعاملون مع الحرم بالتعظيم اللازم، وهذا الحرم قال الله في حقّه: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٢] أي أن الذي يخطر على باله وتكون عنده إرادة -يريد الذنب ولم يفعله- يذيقه الله من عذاب أليم! فالبيت عند الله عظيم لدرجة أن إرادة الذنب يأثم عليها الإنسان.

مثلاً: يكون الشخص في جدة ويريد الذهاب لمكة لمقابلة شخص ويخطط أن يكذب عليه، من هنا وأنت في جدة تأثم على ذلك، مجرد إرادة الذنب في الحرم تأتي بالعقوبة على الإنسان، هذا دليل على أن الحرم عظيم عند الله.

في الواقع: هل القلوب حية أو مريضة أو ميتة تجاه هذا الخبر؟ هل نجد في قلوبنا تعظيمًا للبيت لهذه الدرجة؟

إذا كان هناك تعظيم فلن تجد مظاهر عدم الأدب والاستهتار في بيت الله، لن تجد الناس يحوّلون بيت الله إلى مكان للقاء كأنهم في استراحة! هذا كله إشارة إلى عدم تعظيم البيت، وعدم تعظيم البيت تشير إلى أن قلبك إما مريض أو ميت، وهنا الخطر، أن الله يقسم بالعشر، يعظم البيت والحرمات والشعائر، ثم تصبح كل هذه العظيمة عند الله يشعر الناس اتجاهها بضعف، لا يشعرون بتعظيمها، هي ستبقى عظيمة رغم أنف كل مَن لا يعظمها، لكن عدم تعظيمها دليل على أن القلوب فيها إشكال؛ لأن القلب الحيّ علامته الشعور (يشعر بالغيبيات التي أخبر الله بها).

القلب الحي هو الذي يتّقي الأخطار التي أخبر الله بها، والقلب الميت أو المريض يقال له: ستدخل قبرك لوحدك —وهو متأكد- وستلقى من الأهوال والفزع الأكبر لما تقوم الساعة، وهذه السيئات ستفعل بك كذا وكذا. كل هذه الأخبار لا يشعر بها، وأول ما يفقد الشعور، فهذا القلب إما مريض أو ميت.

- فعلامة صحة العين أنها تبصر
- وعلامة صحة الأذن أنها تسمع
- وعلامة صحة اليد أنها تبطش
- وعلامة صحة القدم أنها تمشي
- وعلامة صحة القلب أن **يشعر**.

[٢] [الحج : ٢٥].

هل المقصود أن يشعر بالدنيا؟ لا، علامة صحة القلب الإيمان والتصديق والشعور بالغيب، فالقلب الصحيح علامته الشعور بالغيب، فإذا كان القلب لا يشعر بالغيب سيتردّد بين أن يكون ميتًا أو مريضًا.

وعلى هذا لما تأتي الأيام القادمة العظيمة عند الله، أعظم أيام الدنيا، وأقسم الله بها، ثم لا نجد في قلوبنا تعظيمها، فهذا يصبح مؤشِّرًا إلى أن هناك مشكلة في قلوبنا، ولذلك المشكلة ليست في قيامنا بالأعمال؛ لأن الناس يركزون على أنهم سيصومون ويذكرون، قبل هذا كله **هناك عبادة عليك أن تدخل بها إلى هذه الأيام، وهي :**

أن تشعر بأن هذه الأيام عظيمة كما عظّمها الله

ما معنى أن هذه الأيام عظيمة؟

أي أنك ستفكِّر على الأقل في اسمين من أسماء الله عزّ وجلّ، أما الاسم الأول فهو اسمه :

(المنّان)

وهذا الاسم نعيش في آثاره، فالله عزّ وجلّ يمنّ علينا بالمنن العظام، وهذه المنن المفترض أنها تزيدنا إيمانًا، بمعنى أن العبد يكون في ضيق من شأنه فيعامله الله بمنّته، فيعطيه أكثر مما يريد، يخطر على بال العبد مطلبًا –فقط خطر على باله– فربه يمنّ عليه بهذا المطلب ويزيده. يتحرّك قلب العبد لأمور، فما ترى إلا والله عزّ وجلّ أعطاك إيّاها، هذا كله من آثار اسمه المنان.

إلى أن نصل للمنة العظيمة وهي منّته بالإسلام والإيمان، منّته على أهل الإيمان بأن يحصل لهم من الأحوال ما يسبّب لهم زيادة الإيمان، والأحوال هذه لها أنواع، من أنواعها التي تظهر فيها منّة الله أنّه يمرّ عليك من الضيق والأزمات ثم تسأله أن يشرح عليك صدرك، فيمنّ عليك بدون سابق أمر بأسباب تشرح لك صدرك، فلمّا تقرأ أوائل سورة الروم تجد أنّ هذه الآيات فيها خبر عن الفرس والروم الذين هم بعيدون عن المسلمين، يقتتل الفرس مع الروم فينتصر الفرس فيدخل في قلوب المؤمنين شيء من الحزن لأن الروم من أهل الكتاب، فيمنّ الله على المؤمنين ويبشرهم أن هناك سببًا سيكون لإدخال السرور على قلوبهم وهو بعيد عنهم، وهو انتصار الروم الذين هم من أهل الكتاب، فيُبشَّرون بسبب بعيد عنهم!.

فلما يأتيك ضيق وقلبك يلجأ لله، تجده يمنّ عليك بسبب لانشراح الصدر ما مرّ على خاطرك! تقرأ عبارة تفكك عنك الهمّ، تلقى أحدًا ما مرّ على خاطرك أن تلقاه فيشرح صدرك رؤيته، تذهب لمكان وتسمع كلمة تكون سببًا لانشراح الصدر وليست لها

علاقة مباشرة بأزمتك، أي أن الأزمة ما انفرجت، لكنه يمنّ عليك بأسباب لانشراح الصدر، من آثار اسمه المنان أنه يمنّ عليك بأسباب ليست تحت طاقتك وقدرتك وليست ملكك، يمنّ بها عليك ليزيد الإيمان.

وكما يمنّ عليك بأسباب لانشراح الصدر، نأتي للأعظم ويمنّ عليك بأسباب لزيادة الإيمان.

ماهي زيادة الإيمان؟

أي قوة الشعور وطول زمن الشعور، فما تفقد شعورك بسرعة؛ لأن الإيمان ليس بالتمنّي ولا التحلّي، ليس بأن يقول الشخص (أنا مؤمن، أو أتمنى أن أكون مؤمنًا) الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، فعليك أن تفتّش عن الإيمان في قلبك، ما مقياس الإيمان؟

أن تشعر بالغيب، أي أنك تكون في الأرض وتشعر بأن حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا، للذين تابوا، فلما تتوب –وأنت صادق في توبتك– تشعر أن الله يفرح بتوبتك، تشعر أن حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا فتتمنى أن تكون منهم.

الإيمان ما وقر في القلب؛ أي شعورًا تشعر به، وليس أمرًا غائبًا عنك ومنفصل عنه تمامًا ولا تفكّر فيه وتقول أنك مؤمن به. الذي تؤمن به تشعر به وتصاحب الشعور به دائمًا، وكلما زاد الوقت بالشعور به، زاد دليل إيمانك.

لما تقرأ القرآن وتجد أوصافًا للرحمن، يخبرك الله عن نفسه أنه ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[٣]، وتقرأ هذا قبل أن تنام، ماذا يجب أن تشعر إذا كنت مؤمنًا؟ تشعر أنك في حفظه ورعايته، تثق به، تذهب همومك لأن القيوم قائم عليك، فنم وأنت مطمئن منشرح الصدر مرتاح البال لأن القيوم الذي يدبرك في السماء له ملك السماوات والأرض، يعلم ما بين أيديكم وما خلفكم، يعلم مستقبل حالكم وما مضى، وهو العلي العظيم.

فكيف تقرأ آية الكرسي وتنام وأنت قلق؟! شعور القلق يغلبه شعور الثقة بالله عزّ وجلّ لأنك عرفت مَن هو الله.

نحن نناقش الإيمان فنقول: من آثار منّة الله عزّ وجلّ على خلقه أنه يمتنّ عليهم بأمور كثيرة، منها أنه يمتنّ بأسباب لزيادة الإيمان؛ أي زيادة الشعور بالحقائق الغيبية، أي أن القلب يصبح الغيب عنده قويًّا، إلى أن تأتي كلمة (أشهد) شهادة حقًّا وليست غيبًا. أشهد أن لا إله إلا الله: أي أنّ الحقّ في غيبك تحوّل إلى شهادة من كثرة شعورك به، فزيادة الإيمان معناها زيادة الشعور بالحقائق

[٣] [البقرة:٢٥٥]

الغيبية ولذلك اسمه (ما وقر في القلب) والذي يثبت في القلب لابد أن تكون له نتيجة، لكن كل تركيزنا الآن على ما وقر في القلب أما نتيجة العمل فسيأتينا الكلام عنها.

إذًا كلما زاد الإيمان، زاد الشعور بالغيب ولقاء الله ومن هو الله وماسيكون الخلق عليه.

فلما تسمع في القرآن ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[٤] هل تشعر به؟ أو ميتٌ شعورك اتجاهه؟ أو أن الشعور اتجاهه ضعيف؟

- كلٌّ منّا على حسب حاله، قويُّ الإيمان يشعر به فيستعدّ
- ضعيف الإيمان تمرّ عليه هذه الكلمة مثل الكلمات ولا يشعر بها
- أما ميت القلب فكأنه لم يسمعها!

لماذا وصلنا لحدّ أنّ القلوب يمكن أن تموت ولا يصبح هناك شعور بأخبار الغيب والأمور التي نحن متأكدون من أنها ستحصل؟ كل يوم نسمع أن هذا يموت وهذا يموت، أكيد سيدخل قبره ويلقى حسابه وسيكون في ظلمة ولن يكون هناك أنيسًا له إلا الأعمال الصالحة، لماذا هذا الضعف برغم أن الحقائق موجودة ومتفق عليها ولا أحد يكذبها؟ نحن نتكلم عن المؤمنين الذين لا يكذبون، فما المشكلة؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[٥] الأزمة الالتهاء، ولذلك ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ لهم وصفان: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٦] هذه أبدانهم، ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ اللهو يأخذ شعورك، يلهيك، لما نقول: هذا الشيء ألهاني، أي شغل شعوري. هذه حقيقة أزمتنا، الناس قد يشتركون في الأعمال الصالحة فيصومون ويذكرون في رمضان والعشر، لكن المشكلة في القلب، هل يشعر بما هو قادم عليه؟ هل يشعر بتعامله مع ربه؟!

العشرة القادمة منّة من الله على أهل الإيمان، يمنّ بها عليهم من أجل أن ينتفعوا بها فيزيدوا بها إيمانًا.

كيف أنتفع بهذه المنة؟ **أن أشعر بأن هذه الأيام عظيمة عند الله**، وأن لا أتعدّى على عظمتها وحرمتها، فكما هي عظيمة عند الله لابد أن تكون عظيمة في نفسي.

---

[٤] [الأنبياء : ١٠٣]

[٥] [التكاثر:١]

[٦] [الأنبياء:١، ٢]

ما هي أحوالنا؟

ستدخل الإجازة على العشر، فتتحول العشر إلى لهو! فيصوم الناس النهار وهم نائمون، ويلهون طول الليل، ثم يقولون (رب أعنا على الانتفاع بهذه الأيام)! الذي سينتفع بهذه الأيام هو الشخص الذي عظّمها.

كيف نعظّم أيام الاختبارات؟ لا نريد أي شخص يزورنا أو يشتت أولادنا، نغلق كل أسباب الالتهاء، كل هذا الذي نقوم به انعكاس لتعظيمنا لأيام الاختبارات، ونقول (هذه فترة وتنتهي).

هذا التعظيم لابد أن يكون حقًّا في الأيام العظيمة عند الله، فلما تعظم شيئًا تنقطع عن الناس ولا تنشغل بهم ولا يكون في قلبك تعلق بهم، هذا كله دليل على تعظيمك لهذه الأيام، فقبل أن نتكلم عن تفاصيل الأعمال لنتكلم عن حق هذه الأيام وهو تعظيمها.

سنعيد المقطع الذي مضى لنبتدئ بـكيف يكون التعظيم..

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴾ هذه الليال العشر أقسم الله بها وهذا دليل على أنها عظيمة عند الله. ناقشنا هذه المسألة من جهة ماهو واقع في قلوبنا، فابتدأنا باسم الله المنّان، وقلنا أنّ العبد إذا عرف أنّ ربّه منّان يمنّ عليه في كلّ حال بأمور لا تدخل تحت طاقته ولا قدرته، وفهم هذا الشيء جيدًا، سيعرف أنّ الله يمنّ على خلقه بأسباب تسبّب لهم زيادة الإيمان، وهذا مِن منّته ليس للخلق في ذلك شيء. أنت تمشي في حياتك وتبذل جهدك لتسافر إلى ربّك، فمِن منّة الله أنّ يعطيك أيامًا العمل فيها أجوره عظيمة، فتقول: الحمد لمن مَنّ عليّ بهذه المنّة ونسأله أن ينفعنا بهذه المنّة. هو الذي امتنّ وابتدأك، فلما تفكّر في هذه الأيام تقول بأنّ هذه منّة مِن الله على خلقه سبّب لهم زيادة الإيمان، فمن أعظم مِنن الله على خلقه أن يسبب لهم أسباب لزيادة الإيمان. هناك أسباب مشتركة بين الناس كلهم وهناك ما يخصك عن الناس. مواسم الطاعات مثل رمضان من المنن المشتركة التي تسبّب زيادة الإيمان، وهناك مِنن تخصك: كأن يجعلك جار المسجد، جار التحفيظ، يفتح عليك بعلم، يسهل عليك الطريق لسلوك العلم، هذه منن خاصة لزيادة الإيمان. نضع اسم المنّان أمام أعيننا فيصبح في قلوبنا ثناء على الله أنّ مَنّ علينا بمواسم يزيد فيها الإيمان، وهذا يشترك فيه كل الخلق، وهناك منن خاصة، نحن نتكلم عن الأمر العام وهو منّة الله بالمواسم التي يزيد فيها إيمان العبد.

ملخص الكلام الذي مضى: ماذا تعتبر عشر ذي الحجة؟ أيام عظيمة أقسم الله بها، وهي مِن منّة الله المنان على خلقه، لأنها من أعظم أسباب زيادة الإيمان.

ما معنى زيادة الإيمان لأهتم بأسباب زيادته؟ الإيمان ليس بالتحلي ولا التمني إنما ما وقر في القلب وصدقه العمل. ما معنى (وقر في القلب)؟ أي استقر في القلب، والقلب مكان للشعور.

لما تصاب بالزكام يضعف إحساسك بالذوق أو ينعدم، وهذا يعني أنك مريض أو مريض بشدة، لأنك فقدت الإحساس بالذوق، ولما لا يشعر القلب يصبح مريضًا أو ميتًا. بذلك فهمنا أن الإيمان ما وقر في القلب وعلامته الإحساس. كلما زاد شعورك بالأمور الغيبية التي أُخبرت عنها تحوّل الأمر عندك لليقين، كأنك ترى الأشياء والحقائق، ولذلك لما يزيد الإنسان من أسباب زيادة الإيمان وتدخل على قلبه، تصبح الحقائق التي يقرأها في القرآن كأنها رأي العين، ولما يلتهي بالدنيا وينشغل بها يقرأ هذه الحقائق نفسها لكن كأنه غائب عنها في مكان آخر.

قال تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[٧] هذا يكون في الدنيا وقت القبض، ثم نفس هذه الملائكة تأتيهم في وقت الفزع الأكبر وتؤمّنهم وتطمئنهم ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٨] أنت تسمع هذه كأخبار، لو كان الإيمان قويًّا ستشعر بها، وتشعر بالملائكة الذين هم من الغيب، ويتحول الغيب عندك لشعور موجود، الضعف في هذا الشعور سببه نقطة سوداء من هنا ومن هنا أفقدتك الشعور.

إذًا هذه الأيام العظيمة منّة مِن الله يزيد فيها إيماننا، نعظّم هذه الأيام فنصفو لها ونجمع قلوبنا جيدا على تعظيمها.

كيف يكون التعظيم؟

هذا التعظيم دليله قولك باللسان. فربما تكونين كل هذه الأيام معذورة شرعا لا تصومين ولا تصلين، ماذا ستفعلين؟ أهم شيء في هذه العشر الذكر، بحيث أن القلب يشعر واللسان ينطق، إذا حصل وقوي الإيمان في القلب ومعرفة المحبوب وبقي ذكره في القلب والتفكير في رضاه والتعلق بلقياه، أكيد أن القلب الذي يتعلق بالمحبوب سيذكره بلسانه، فإذا تعلق قلبك بالله وعظّمه واشتاق إلى لقاه وأصبح حي ويتحرك، ستبقى ذاكرًا، لما يضعف الشعور بلقاء الله وبعظمته ولا يشعر الإنسان بأي شيء يدفعه لتقواه سبحانه

[٧] [فصلت:٣٠، ٣١]
[٨] [الأنبياء:١٠٣]

وتعالى، يحتاج حينها لمن يذكّره بأذكار الصباح والمساء، يحتاج للتذكير بالتكبير، الإنسان يغفل صحيح، لكن هذه العشرة أيام مضغوطة مختصرة لتنفض عنك الدنيا ويبقى تفكيرك في الله ولقائه، وهذا معنى أن تعظّم ما عظمه الله، ولهذا أهم ذكر تقوله في هذه الأيام (الله أكبر).

علاقة (الله أكبر) بالتعظيم:

الذي يقول (الله أكبر) أكيد أنه يرى كل شيء غير الله أصغر، يرى كل شيء لا يستحق العناية، أعظم شيء في قلبه ومقصوده هو الله.

في قلبك زحام من الهموم والمتعلقات، تحمل همّ أبناء، بيت، مال، دين ...الخ هذه الهموم تفندها تفنيدا في العشر، تعرضها أمام نفسك وتقول: (الله أكبر). أكبر من كل هذه الهموم التي أحملها، أكبر من كل المتعلقات التي أتعلق بها، أكبر من كل عائق يعيقني عن السير في الطريق إلى الله.

الذي يشوشنا في الصلاة أننا نقف وقلوبنا تدور في البيت، في العمل، في الحي، في العالم! لماذا؟ أحد سببين: إما تعلقات أو هموم، إما شيء تحبه وترغب به، أو شيء أنت مهموم بسببه.

فلما تقول (الله أكبر) فهو أكبر من كل شيء، بحيث يصبح كل شيء في مكانه، أعطي كل شيء حجمه.

فإن كنت تخشى على رزق فالله أكبر من كل ضيق تمر به وهو الرزاق.

وإن كنت تخشى على هداية ولد فالله عزّ وجلّ أكبر من كل أمر يعيق هداية هذا الولد.

اعرض كل شيء تدور همومك حوله وقل: الله عزّ وجلّ أكبر من كل هؤلاء.

كل الناس الذين أتوقع أنهم يمنعون عني خيرًا أو أخاف أن يقع منهم كذا وكذا، فالله عزّ وجلّ هو مليكهم والمقتدر عليهم وهو الذي يصرّفهم، فيقع في قلبك لربك التعظيم والثقة.

كونك تهتمّ فلا تظنّ أنّ هذا طريق حل الهمّ، إنما طريق حلّ الهمّ أن تعظّم الله وتكبرّه وتراه مقصدك ومقصودك وصمدك وهو ركنك الشديد، فإذا كان هذا الحال سيكبّر قلبك الله على كل الهموم، لن تأتي في همّ وتقول (ماذا أستطيع أن أفعل؟ أنا عاجز) نعم أنت عاجز، لكن وكيلك وكافيك وحسبك ومن هو وليك وأمرك أن تتولاه أكبر من هذا كله الذي أنت في هموم حوله.

ولو كان ضِيقًا في الصدر أو ضِيقًا في الحال أو الولد أو الزوج، أيا كان هذا الضيق نهايته أن الله هو المليك لهم جميعًا والمتصرّف والمدبّر لهم جميعًا وهو الذي يسبّب أسباب زيادة الإيمان الذي به ينشرح الصدر وتزول الهموم أو تزول أنت عنها، ففي النهاية العبد يفكّر في عظمة الله وكبريائه، وهذا الذي لابد أن نتناقش فيه بالتفصيل.

الجزء الثاني أن هذه العشر العظيمة عند الله والتي هي من آثار منّته

وسبّبها لنا أسبابًا لزيادة الإيمان مطلوب منّا أن نعاملها معاملة خاصة تدور حول قلبنا ولساننا، ركزوا في هذين العضوين: القلب واللسان. نريد أن نخرج من العشر وقد تطابقت قلوبنا مع ألسنتنا، لسان يذكر الله وقلب حي يشعر بكمال صفات الله، وقرب الله، ولطف الله، ورحمة الله، قلب حي يشعر بما وصف الله به نفسه. لا يصح أن أقول بعد الصلاة (اللهم أنت السلام ومنك السلام) ولا أشعر بكماله سبحانه وتعالى، ولا يصح أن أقول (سبحان الله) وتأتيني ظنون فاسدة عن الله! فعن أي شيء تنزهه إذن؟ الذي يقول سبحان الله فهو ينزه الله، ثم بعدما ينزهه تمر في خواطره ظنون سيئة عن الله، هذا كلام لم يواطئ فيه القلب اللسان.

هذه الأيام العشر فرصتنا للعناية بالقلب واللسان، نريد أن نقوم بعملية مطابقة بين القلب واللسان بحيث يقول اللسان (الله أكبر) والقلب حقًّا يعظم الله، ولذلك الذكر في هذه الأيام مطلوب وخاصة التكبير سواء المطلق أو المقيد.

لو دخلت علينا العشر يوم الأحد يبدأ التكبير المطلق من غروب شمس السبت، من هنا خلّي نفسك من الأشياء ما استطعت إلى ذلك سبيلا، خلّي نفسك من الهموم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، لا تواعد هؤلاء وهؤلاء وتقول (لدينا إجازة)، قلّص الارتباط، قلّص من الاختلاط، غيّر نظام علاقاتك خلال هذه العشر لتكون هناك فرصة تحصل فيها المطابقة بين اللسان والقلب. هذه المطابقة دائرة حول تعظيم الله، حول قول (الله أكبر) بلسانك، وقلبك يشعر بتكبيره سبحانه وتعالى وتعظيمه.

الجزء الثالث معنى (الله أكبر).

نبدأ بمعنى الاسم العظيم (الله) :

(الله) لفظ الجلالة الذي هو مجمع أسماء الله فيه، يتضمن كل أسماء الله وصفات الكمال.

معنى هذا الاسم كما قال ابن عباس: (ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين).

(ذو الألوهية) أي الإله الذي تحبه القلوب وتعظمه لما له من كمال الصفات. ولذلك لما تجد شخصا يرفع أحدا من الخلق فوق منزلته، تقول له: انتبه، لا تؤلهه؛ أي لا تعطه صفات الكمال، كل الناس ضعفاء فقراء عاجزين، والكامل هو الله. فلما تقول (الله) أي أنك تقول: أنا لي إله كامل الصفات وأنا ضعيف وفقير وعاجز، إذا كنت فقيرًا فالله هو الغني فإليه أصمد، وإن كنت أنا الضعيف فالله هو القوي فإليه أصمد، فأنت فقير وضعيف وعاجز وهو سبحانه وتعالى قادر. أنت عبد هذا وصفك، لا يخلو حالك من فقر وضعف وعجز، والله كامل الصفات الغني القوي القادر.

فيا أيها العبد كلما مرت عليك الحياة، زادتك شعورا بضعفك وفقرك وعجزك، وكلما مرت عليك الحياة، دفعتك لباب الله.

مَن هو الله؟ كامل الصفات الذي له صفات الكمال، وهو بالتالي الذي يستحق أن أقف عند بابه وأنذل بين يديه وأنكسر له وأستمتع بذلك، لماذا أستمتع؟ لأنه سبحانه وتعالى لما يعامل عباده تظهر في معاملته لعباده آثار رحمته ولطفه وجبره وستره وقربه، ما تناديه إلا يجيبك، ما تناجيه إلا يطمئنك، ما تطلبه إلا يعطيك، فإذا كان هذا هو الله فلابد أن يكون وصفه في قلبي عظيما، فلما تقول (الله) كامل الصفات الذي كل صفة كمال له تعتقد فيه أنه أكبر، أكبر من كل شيء.

فإذا رأيت في شؤون أهل الدنيا ما يعجبك فالله عز وجل أكبر، يعطيك وينعم عليك ويسكّن قلبك، وإذا لم يكن هنا في الدنيا فهناك، فقلبك يتعلق بأن الرب الذي يهب ويعطي سيعطيك، هو أكبر من هذه الخليقة، هو الذي أعطاها ووهبها وهو الذي يعطيني ويهبني.

الله أكبر من أن يحبس أحد عني رزقًا لي.

الله أكبر من أن يقع علي شيء لم يقدّره الله.

لو اجتمعت الأمة كلها على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، كل الأمة في كفّة ولا يمكن أن تفكر فيها وأنها تساوي شيئا، نعم يمكن أن يجري على يديهم شيء لكن الذي جرى على يدهم قد كتبه الله، فهم لا شيء، الملك كله لله، أما أنهم يضروك فإنهم لا يستطيعون أن يضروك ولو اجتمعوا، ولا يستطيعون أن ينفعوك ولو اجتمعوا.

فتكون النهاية أنه أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء لما له سبحانه وتعالى من صفات الكمال وعظيم الجلال.

فلما تكبّره لابد أولا أن تعتقد أن له الصفات الكاملة، ثم تأتي لكل أحد تعتقد أن له صفة كمال وتقول (الله أكبر منك).

لما تخاف من أي قوي في حياتك –وفنّد مَن هم الأشخاص الذين تشعر في قلبك أن لهم سيطرة وقوة عليك– قل بأن الله أكبر منهم؛ لئلا يبقى خوف إلا من الله.

والهموم التي تحملها قل بأن الله أكبر منها وهو الذي يزيلها، وفنّد كل ما في قلبك وأخرجه واعرضه على الله أكبر، فستجد أنه لا يوجد هم إلا وسيذوب، ولا مشكلة إلا تستصغر، ولا حال تخشى منها إلا وتذهب هذه الخشية لأنك اعتمدت بقلبك على العلي الكبير الذي كل شيء تحت ملكه وسلطانه، فهي فرصتك أن تعظمه وتخرج من الهموم.

أنت خائف أن يضل هذا الولد، أن يذهب هذا الزوج، أن يحصل لهذا البيت كذا، اجمع مخاوفك وقل (الله أكبر) عليها جميعا، فهو العلي الكبير الذي تلجأ النفس إليه.

المقصد من هذا التفصيل أن لا تترك نفسك على العموم وتقول بأنك تقول (الله أكبر) وانتهى الأمر، لابد أن تقوم بعمليتين:

١. أخرج كل شيء تشعر أنه كبير، أخرج الأشياء التي في قلبك والتي تسبب لك التعقيد، كلم نفسك عنها وفكر فيها.
٢. واملأ قلبك بعظمة الله وقل: هل هناك مشكلة أمرّ بها والله ليس قادرا على فكها وحلها؟ لا طبعا، إذن الله أكبر من كل أزمة أمر بها.

هل هناك أشخاص يمكن أن يسيطروا علي ويكون أثرهم علي سابق لفعل الله؟ لا طبعا، الله أكبر من كل هؤلاء. فما الذي أشغلك بالخلق إذن؟ ما الذي جعل الخلق لهم مكان؟ ما الذي جعلك تسترضيهم؟ ما الذي جعل عقولنا تدور حولهم؟ لماذا؟ لأن كلمة التكبير ليست موجودة كما ينبغي.

إجمال هذا الكلام أن **أهم أسباب زيادة الإيمان:** مواطئة اللسان القلب في الذكر، وكل الأعمال الباقية طبعا أسباب لزيادة الإيمان.

أين ستكون مواطئة اللسان للقلب في الذكر؟

أول مكان سنبدأ فيه بالحرص على أن يواطئ لساننا قلبنا هو **صلاتنا**.

لا ندخل العشر وكل تركيزنا أن نقوم بالنوافل، ولا نصلي الفرائض كما ينبغي، ثم نقول (صمنا الحمدلله). المسألة لابد أن تمشي على الطريق الصحيح.

أيهم الأحب إلى الله النافلة أم الفريضة؟ الفريضة بالاتفاق. والفريضة المفروضة عليك في الأيام القادمة هي الصلاة، فيصبح المطلب أن يكون هناك مطابقة فيها بين قول اللسان والقلب. والصلاة شعارها التكبير، فهذه العشر أتت من أجل أن تكبّر الله، وأنت طول الحياة المفترض أنك تصلي وتكبّر الله، ففرصتنا في العشر أننا لما نأتي للصلاة نبذل جهودنا أن تواطئ ألسنتنا قلوبنا، فلا ترفع يديك وتقول (الله أكبر) وأنت مشغول مهموم تفكر وتتعلق وتسرع وتنتظر لتخرج!

اجعل العشر هذه مكانا للفراغ قدر ما تستطيع، وأكيد أنك تستطيع ربع ساعة لصلاة الظهر ما بين السنة والفرض، فإذا كنت تستطيع سيكون جهادك في هذه العشر أن يواطئ لسانك قلبك في كل تكبيرة تكبرّها وكل كلمة تقولها؛ لأن الذكر أهم شيء في هذه العشر، وها أنت لما تكبّر وتركع، وتكبّر وتسجد، وتكبّر وتقوم من السجود، ها أنت تكبّر وتذكر الله، والمطلوب في كل هذه التكبيرات أن تجمع قلبك.

ومثلها لما تقرأ الفاتحة العظيمة التي لو صحّت قراءتها لزاد إيمان العبد واستقامت حياته. كل يوم نناجي الله مرات ومرات، نقول له ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[9] كيف قلوبنا غير موجودة؟ لو سألنا بصدق ما خيّبنا الله، لأنه في الحديث كما تعلمون ((هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ))[10] لكن إن صَدَقَ في سؤاله، إن واطأ لسانه قلبه. ألسنا جميعا نعرف الحديث الذي فيه: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ))[11] قلب لاهي، يقول: يارب أعطني وأعطني. وقلبه غير موجود! ومثله الفاتحة، تقول له: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وقلبك لاه! لن تكون حينها من أهل ((هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) .

إذن اتفقنا أن أهم شيء يواطئ فيه اللسان القلب وقت الذكر هو الصلاة. لا تهتم بالنوافل وتترك الفرائض، هذه من الأخطاء المتكررة التي يقع فيها الناس، فلما تدخل الإجازة وتتداخل الأوقات عند كثير من الناس يصومون النهار وينامون طول النهار ثم تضطرب الصلوات فيكون أثر هذا على الناس أنهم لا يعتنون بالفرائض في مقابل أنهم يغترون بالقيام بالسنن، يهملون الفرائض ويطمئنون بأنهم قاموا بالسنن ولا يعلمون أن أحب عمل تتقرب به إلى الله هو الفريضة، وهذه العشر فرصة للتفرغ والتعظيم فتجمع بين القول باللسان ومواطأته للقلب. أول وأهم شيء الصلاة، وبعدها تستصحب الذكر، يبقى المحبوب العظيم في بالك، لا يقع منك التهاء عنه، لا تنشغل عنه.

---

[9] [الفاتحة:٦]

[10] "صحيح مسلم" (كتاب الصلاة/ باب وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ وَلاَ أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا/ ٩٠٤).

[11] "سنن الترمذي" (أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/ ٦٦- بَابٌ / ٣٤٧٩) قال الألباني: حسن.

هذه العشر كأنها تقول: لا تنشغل عن الله، اجعل الله هو العظيم الذي تعظمه والمحبوب الذي تشتاق للقائه واشغل فكرك به، هذه أهم علامة في صلاح هذه الأيام، أن ينشغل قلب العبد بالله فيخرج هذا الانشغال الذي في القلب على اللسان ذكرا لأن كل مَن يحب ويعظم فلابد أن يذكر محبوبه، لا يحتاج أن يذكّره أحد بمحبوبه، لا يغفل عن محبوبه إلا فيما ندر، فتصبح العشرة الأيام هذه كأنها تمرين لأن ينشغل القلب بالله، وكونوا مطمئنين: إذا انشغل القلب بالله فلابد أن يظهر هذا على الجوارح ومن أهمها اللسان. أخبروني: مَن الذي يكثر من قول: اللهم أحسن لي الخاتمة؟ الذي يحمل همها، الذي مشغولٌ قلبه به. أما الشخص اللاهي الذي ينسى اللقاء، لو قال له أحد: قل اللهم أحسن لي الخاتمة، فيقول لك: لا تتفاول علي !

حتى يواطئ القلب اللسان: سأراقب تفكيري، اهتماماتي.

راقب عقلك الذي في قلبك ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[١٢] راقب هذا القلب الذي يتقلّب ويهتم بشيء كل حين، يصفو حينا وينقلب حينا. راقب قلبك واهتماماته وانشغالاته وأدخله مسجد تأديبي، كلما استجاب لخاطرة ردّه. افترض أنك تكبّر وأنت تطبخ، تجد نفسك تترك التكبير والتركيز فيه وتفكر في الذي يفور على النار! أرجع قلبك عن التفكير في شيء يمكن أن يعمل بدون تفكيرك.

نحن لما نكون مهمومين ونطبخ ونحن ماهرون في الطبخ نجد أننا نقوم بالعمل بطريقة أوتوماتيكية –كما يعبّرون–، نقوم بالعمل كما هو وعقلنا يفكر في شيء آخر؛ أي أننا يمكن أن ننفصل عن الأشياء التي نعملها بأيدينا وتبقى قلوبنا متعلقة بالله.

المطلوب: أدّب قلبك من الخواطر واقطعه عن التعلق بالخلق. لا تكذب على نفسك وتقول أنك متعلق بالله ثم كلما أهمّك همّ بحثت عن أحد تتصل فيه وتسأله –ليس سؤال استفتاء– إنما مثلا تمر بك أزمة مالية ثم تتصل بشخص تسأله، تمد يدك له. أين قولك عن أن الله الرزاق؟

لا تكلمني عن الأسباب التي تقطع بينك وبين الله، فالله هو الأول السابق للأسباب، الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، هل ربنا أولا أم الأسباب؟ إذا كان ربنا أولا فلماذا لا يكون الفزع له أولا قبل الأسباب؟! لماذا مباشرة أول ما تأتيك أزمة تذهب لفلان وعلان؟ لا تكذب على نفسك وتقول بأن قلبك متعلق بالله ومشغول بالله ثم ما إن تأتيك الأزمة والاختبار إلا وتجد قلبك فزع وأول ما فزع لغير الله! أما لما يكون الفزع أوله لغير الله فلا تسأل عن هؤلاء كيف يفزعون لحظة الموت، لا تسأل عن هؤلاء

[١٢] [الحج : ٤٦]

وقت الفزع الأكبر، لقد فزعوا في الدنيا لغيره فيستحقون ما يأتيهم، الفزع الأول لا يكون إلا لله ثم هو يسخر لك الأسباب ويشرح صدرك لها، هو الأول الذي ليس قبله شيء.

اتفقنا أن نقوم في هذه الأيام بمراقبة تفكيرنا، لا تأخذك الخواطر بعيدًا، لا تجري خلفها. تجد أنك تكمل بلسانك (سبحان الله وبحمده) مائة مرة وأنت لا تدري ما قلت ! ثم تستثقل الإعادة ! ونحن نعرف أن (سبحان الله وبحمده) لا تأخذ ٣ دقائق منا، وهي سبب لمغفرة الذنوب ولو كانت مثل زبد البحر. كيف نخرج خسرانين وتمر الدنيا علينا ونحن مسافرون إلى ربنا وأبداننا دوابنا وقلوبنا هي جوهرنا الذي نريد أن نوصله لربنا، ألسنا كلنا نقول: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١٣] أي أنك مسافر، وهذا البدن مجرد دابة تحمل القلب، وتريد أن تذهب إلى ربك فتأتيه ومعك قلب سليم.

لنسأل أنفسنا: هل قلوبنا التي تخدم أبداننا أم أبداننا التي تخدم قلوبنا؟

الواجب أن تكون أبداننا خادمة لقلوبنا؛ أي أن بدنك يخدم قلبك فيتنبه للصيام فيصوم البدن فيحيا القلب. البدن يسقي القلب بالإيمان وأسبابه، لكن تصور أنك تقوم ليلة الخميس ثم تقول لبدنك: سأصوم، فيقول: لا، سوف أصدع وأتعب ! فيصبح البدن بدلا من أن يكون خادمًا القلب، يصبح القلب خادمًا للبدن. مثل شخص اشترى لنفسه دابة، المفترض أنه هو الذي يركبها، ثم فوجئتم بأنه مشى والدابة على ظهره ! تستعجب منه. هذا البدن خُلق لك لتحمل فيه القلب وتصل إلى الله به وليس العكس، وليس معنى هذا أن تمشي وتمشي وتشدد على نفسك وتنقطع بك السبل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن المُنبتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ ولا ظهراً أَبْقَى))[١٤] لكن امشِ على الطريق الصحيح على السنة، ولما تمشي على طريق السنة تفهم أن بدنك عبارة عن دابة، ولما تدخل القبر تذهب الدابة وتنتهي، مثل لما تقص شعرك، تقص ظفرك، الجزء الذي أخرجته لا علاقة له بك ولا تشعر به. تنبت لك دابة أخرى لما تلقى الله يوم القيامة، وتصبح لها صفات أخرى ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[١٥] ترى الملائكة والجن والمواقف العظيمة، لم يكن عندك البصر الأول، فالدابة هذه ستتغير، ويبقى القلب الذي هو الجوهر ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

---

[١٣] [الشعراء : ٨٩]

[١٤] السنن الكبرى للبيهقي، قال الألباني ضعيف.

[١٥] [ق : ٢٢]

فإذا كانت القضية بهذه الطريقة فلابد أن لا يكون قلبك خادما لبدنك. تريد أن تقوم الليل فيقول بدنك لقلبك: خذ غفوة قليلا! فقلبك يقوم بخدمات للبدن ثم يمرض، ويميل للدنيا، ويحبها، ولا يرتاح البدن إلا لما يأخذ شهوته، والقلب يقول: سمعًا وطاعة! وبذلك يهلك البدن والقلب.

لكن بدنك مجرد دابة توصلك إلى الله وأنت سليمًا، لا تجعل قلبك خادمًا لبدنك، فلما يأتي بدنك –نفسك– وتخطر عليها الخواطر وتدخلها لقلبك، قم بإيقاف الخواطر، ولا تجعل كل همك ماذا تأكل وتشرب، فالذي تملكه من بدن سيذهب.

- لا تشتغل إلا بما يجب عليك الشغل به وهو الله ولقاؤه ورضاه ومحبته.
- فكّر: ما منزلتي عند الله؟ ما مكانتي؟
- أليس الذاكرين يذكرهم الله؟ أليس الشاكرين يشكرهم الله؟ أليس الراحمين يرحمهم الله؟ أليس مَن يفرج عن أخيه كربة يفرج عنه الله؟
- انظر ما مكانك وأنت مَن؟ لا تهتم بمن أنت عند أهل الأرض، الأهم أنت مَن في السماء.

ولو فكرنا بهذه الطريقة لن نصبح خدمًا لأبداننا، بل ستصبح أبداننا خدمًا لقلوبنا، فلما تريد أن تصلي وتجد نفسك كسلت، تقول: أنت يا بدن وُجدت أصلاً لتخدم قلبي وتسقيه بالإيمان فاسجد واركع. فما إن تأخذ نفسك بذلك إلا تستقيم لك نفسك.

هذه العشرة فرصتنا

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

- ليواطئ اللسان القلب
- وليمتلئ القلب إيمانا
- وليسير البدن إلى الرحمن ليحمل قلبًا سليمًا.

والقلب السليم لا يكون إلا بالشعور بالحقائق التي سيلقاها، التوفيق من الله، نبذل جهودنا في هذه الليالي بأن ندعو الله أن نُوفق في هذه العشر لطاعته سبحانه وتعالى والانتفاع من هذه الفرصة العظيمة.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبّل أعمالنا لأن هذا أهمّ الهموم. بعد أن تعمل لا يستكين قلبك، أهم الهموم أن يقبلك الله، فنسأل الله عزّ وجلّ لنا جميعا أن نكون من المقبولين، اللهم آمين.